دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة الشباب على الوسطية والاعتدال

بقلم:
الأزهر بوقطيط
أستاذ متعاقد بمعهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
ماجستير في الفقه المقارن وباحث في مرحلة الدكتوراه علوم
bouguetit@gmail.com

ملخص

بالرغم من الظروف التي أنشئت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي إلا أن الحكمة التي تميز بها علماءها في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة جعلت منها أنموذجاً عالمياً، حياً، في الوسطية والاعتدال، ولم يترتب بسببها أي غلو، أو تطرف، من جهة؛ كما لم تتنازل عن مبادئ الإسلام، وحقيقته، وجوهره، من جهة أخرى؛ لذلك سنبين بعض مواقف الجمعية في ترسيخ الوسطية، والاعتدال، انطلاقاً من: وقوفها ضد الغلو والتطرف من جهة، وضد التغريب من جهة أخرى. فاقتضى هذا تقسيم البحث إلى: مقدمة، ثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

﴿ **ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا** ﴾ البقرة: ١٤٣ والوسط هنا بمعنى: الخيار والأجود والعدل[1] ومعلوم أن الشيء لا يكون خيرا وجيدا إلا إذا اعتدل؛ فبناء على هذه الآية الكريمة العظيمة قامت ركيزة هذا البحث، ولولا الوسطية لما كانت الأمة المحمدية شاهدة على باقي الأمم وحاكمة عليهم، ولايزال علماء الأمة يتواصون بها في علمهم، وعملهم، ودعوتهم، حتى سادوا العالم وشادوا الحضارات التي لاتزال تشهد لهم بذلك. ومن عينة ذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أنشئت في ظروف سيئة إبان الاحتلال الفرنسي إلا أن الحكمة التي تميز بها علماءها في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، جعلت منها أنموذجاً عالمياً، حيًّا، في الوسطية والاعتدال، ولم يترتب بسببها أي غلو، أو تطرف، من جهة؛ كما لم تتنازل عن مبادئ الإسلام، وحقيقته، وجوهره، من جهة أخرى؛ لأجل هذا عزمت على إبراز **دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة الشباب على الوسطية والاعتدال** فكان هذا عنوانا لبحثي الذي أسأل الله أن ينفع به كل من قرأه أو اطلع عليه.

أهمية الموضوع: يكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة تكمن في النقط التالية:

- إظهار دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترسيخ ونشر ثقافة الوسطية في الغرب الإسلامي
- تقديم أنموذج حي في تطبيق مبدأ الوسطية والاعتدال
- إبراز كبرى المواقف لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المجسدة لمبدأ الوسطية والاعتدال
- تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قدوة للشعوب الإسلامية المحتلة لافتكاك استقلالها بأقل الأضرار

الإشكالية: يعالج هذا البحث دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة

الشباب على الوسطية والاعتدال ، فلذلك سنحاول الإجابة على السؤال التالي: ما هو دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة الشباب على الوسطية والاعتدال من خلال مواقفهم وتقريراتهم ؟

الدراسات السابقة: لم أطلع في حدود علمي على بحث تناول هذا الموضوع بشكل مستقل ولا بهذا الطرح.

خطة البحث : يعتمد هذا البحث على تقريرات ومواقف الجمعية في ترسيخ الوسطية، والاعتدال، انطلاقاً من: وقوفها ضد الغلو والتطرف من جهة، وضد التغريب من جهة أخرى. فحَسُنَ أن يقسَّم إلى: مقدمة، ثلاثة مباحث، وخاتمة، فكانت خطته كالتالي:

المقدمة: وعرفت فيها بالموضوع، وأهميته، وبينت الإشكالية التي أردت الإجابة عنها، والدراسات المتعلقة بالموضوع (لأنه لم يدرس من هذه الناحية فيما أعلم)، وسبب اختياري لهذا البحث

المبحث الأول: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتقريرهم لمبدأ الوسطية

المطلب الأول: ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، دينية)

المطلب الثاني: مكانة علماء الجمعية في الداخل والخارج

المطلب الثالث: تقرير علماء الجمعية لمبدأ الوسطية

المبحث الثاني: مواقف علماء الجمعية ضد التطرف والغلو

المطلب الأول: مرونة التعامل مع كل أطياف المجتمع نصرة للدين والوطن

المطلب الثاني: موقف علماء الجمعية من الثورة

المطلب الثالث: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من الطرق الصوفية والثورة التحريرية

المبحث الثالث: مواقف علماء الجمعية ضد التغريب

المطلب الأول: موقف جمعية العلماء المسلمين من التجنس

المطلب الثاني: موقف جمعية العلماء المسلمين من المتجنسين

المطلب الثالث: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من التجنس

الخاتمة: وسأبرز فيها بإذن الله تعالى أهم النتائج والتوصيات المتعلقة بالبحث

المبحث الأول:

نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتقريرهم لمبدأ الوسطية

المطلب الأول: ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إن الباحث في ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سيجد أن المستدمر قد سيطر على البلاد من جميع النواحي، ويمكن الحديث عن هذه الظروف على حسب ميادين الحياة: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية.

أولاً- الظروف السياسية: بعد احتلال فرنسا للجزائر يوم 05 جويلية 1830، أصبحت الجزائر تخضع للسيطرة الفرنسية المباشرة، التي وقفت ضد كل حركة قومية في الجزائر، فقامت باعتقال وطرد جماعة من الجزائريين، كانوا يبثون فكرة الجامعة الإسلامية في البلاد، وأصدرت عام 1908 قراراً يقضي بحظر الحج إلى مكة، ووقفت أمام وصول أخبار الثورة التركية إلى الجزائر، كما أخضعت الجزائريين لقانون الأهالي، الذي يمنعهم من ممارسة الحريات العامة، وفرضت القوانين الاستثنائية التي كانت سيفاً مسلطاً على رقاب الجزائريين. بسبب هذا وغيره من السياسة الفرنسية التعسفية ازداد سخط الرأي العام الجزائري، وظهرت مجموعة من المثقفين بالثقافة العربية من جهة، والثقافة الغربية من جهة أخرى، الذين أصبحوا على وعي كبير بدورهم السياسي والوطني، فأخذوا ينشرون الأفكار الجديدة المستوحاة من انتصار القومية في أوربا، وأفكار حركة الجامعة الإسلامية في المشرق، فكان من المهاجرين إلى الشرق الأدنى الشبان

العلماء الذين نصروا القضية الجزائرية فيما بعد ومنهم: عبد الحميد بن باديس، الطيب العقبي، محمد البشير الإبراهيمي...[2]

ثانياً- الظروف الاقتصادية:

من المعلوم أن الاحتلال الفرنسي في الجزائر طبق سياسة الاستيطان، وأصدر عدة قوانين للاستيلاء على الأراضي الجزائرية، والأوقاف الإسلامية، كما فرض الضرائب الفاحشة، مما اضطر بالفلاحين الجزائريين إلى بيع أراضيهم، فأصبح المستوطنون كالسادة، ويعتبرون الجزائريين خدماً لهم بتحويلهم إلى خمَّاسين وأجراء، ولم يسلموا حتى في هذه الحالة من طردهم، بسبب تطور التقنية الفلاحية وتعويضهم بالآلات المتطورة. أما بالنسبة للصناعة فلم تتعدَّ الصناعات التقليدية كالأغذية، والنسيج، والجلود...[3]

ثالثاً- الظروف الاجتماعية:

سعت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر إلى تحويل جميع أفراد المجتمع إلى خدمة المعمرين، وتحطيم خصائص المجتمع الإسلامي الجزائري، واستبدالها بخصائص أخرى ذات طابع أوربي، ولم يعرف الجزائريون التمثيل النيابي حتى عام 1947، مما ساهم في قهر جميع طبقات المجتمع الجزائري، وانتهج المحتل سياسة خطيرة وهي سياسة (فرق تسد) فغذى الخلافات المذهبية، والعرقية، والطرقية [4].

رابعاً- الظروف الدينية:

بعد أن تراجع مستوى التعليم في الجزائر ازدهرت الطرقية بتشجيع من المحتل خدمة لمصالحه الاحتلالية، فبعد أن كانت المحرك الرئيسي ضد الاحتلال، أصبح الكثير منها يسير في ركاب المستدمر، الذي احتواها بالمناصب الإدارية؛ فجعل منهم الباشغوات، والقياد، والقضاة...كما شجعت فرنسا حركات التنصير، مثال ذلك: جهود لافيجري؛ الذي أرسل مرسليه الملقبين بالمرسلين البيض، فالتقطوا

الأطفال اليتامى، والفقراء، ونشأوهم في مدارسهم الدينية. كما قضت فرنسا على القضاء الإسلامي، حتى لم يتبق منه إلا الزواج، والطلاق، والميراث، وسيطرت على المساجد وأوقافها...[5]

المطلب الثاني: مكانة علماء الجمعية في الداخل والخارج

حتى نعرف مكانة علماء الجمعية لا بد أن نعرج على مشاربهم العلمية والإصلاحية؛ فكغيرهم من العلماء حفظ أغلبهم القرآن في سن مبكرة، وتنوعت مشاربهم العلمية بين الداخل والخارج مما أكسبهم وعياً ونضجاً علمياً أَهَّلَهُم أن يكونوا علماء مصلحين، إضافة إلى الرصيد العلمي المتنوع لعلماء الجمعية، أضافوا إليه الفكر الإصلاحي الذي نهلوه من كبار قادة الحركة الإصلاحية آنذاك، خاصة المصلح الكبير، المفسر النحرير، العلامة محمد رشيد رضا صاحب التفسير البديع الذي هو عبارة عن مجموع ما كان ينشره في مجلة المنار، وسمي باسمها (تفسير المنار)، كما أخذوا عن علماء الزيتونة والحجاز ومصر مما نوع من ثقافتهم وزاد في ذياع صيتهم.

المطلب الثالث: تقرير علماء الجمعية لمبدأ الوسطية

إن الدارس لمبادئ جمعية العلماء المسلمين يلحظ أن مبدأ الوسطية مقرر عندهم في الأصول التي وضعوها للجمعية، هذه الأصول كلها تكرس مبدأ الوسطية وفيما يلي نقل لهذه الأصول[6]:

1 . الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده.

2. الإسلامُ هو دينُ البشرية الذي لا تَسْعَدُ إلاَّ به، وذلك لأنه:

أولاً: كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين . يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين.

ثانيًا: يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان.

ثالثًا: لأنه يفرض العدل فرضاً عاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز.

رابعاً: يدعو إلى الإحسان العام.

خامساً: يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من الناس.

سادساً: يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير.

سابعاً: ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل والإكراه.

ثامناً: يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون.

تاسعاً: شرَّك الفقراء مع الأغنياء في الأموال، وشرع مثل القراض والمزارعة والمغارسة مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال.

عاشراً: يدعو إلى رحمة الضعيف فيُكْفَى العاجِزُ ويُعَلَّمُ الجاهل ويُرْشَد الضال ويُعَان المضطر ويُغاث الملهوف ويُنصر المظلوم ويُؤخذ على يد الظالم.

حادي عشر: يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه.

ثاني عشر: يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس.

3. القرآن هو كتاب الإسلام.

4. السنة. القولية والفعلية. الصحيحة تفسير وبيان للقرآن.

5. سلوك السلف الصالح. الصحابة والتابعين وأتباع التابعين. تطبيق صحيح لهدي الإسلام.

6 . فهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة.

7. البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه

وآله وسلم فعله، وكل بدعة ضلالة.

8. المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة.

9. أفضل الخلق هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه:

أولاً: اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة.

ثانياً: كان على أكمل أخلاق البشرية.

ثالثاً: بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته.

رابعاً: عاش مجاهداً في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة.

10. أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له.

11. أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم الأولياء والصالحون، فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله.

12. التوحيد أساس الدين، فكل شرك. في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل. فهو باطل مردود على صاحبه.

13. العمل الصالح المبني على التوحيد؛ به وحده النجاة والسعادة عند الله، فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذي يغني عن الظالم شيئا.

14. اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما؛ شرك وضلال، ومنه اعتقاد الغوث والديوان.

15. بناء القباب على القبور، ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها، ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين، فمن فعله جهلا يعلم ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل.

16. الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ

والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال... والاستغلال... ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور...

17. ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة، مع الرحمة والإحسان دون عداوة أو عدوان.

18. الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة.

19. المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة.

20. عند المصلحة العامة من مصالح الأمة، يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر الثغرة. ويتحتم التئازر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ثم بقوة الحق وإدراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة.

﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ [يوسف:108].

المبحث الثاني

مواقف علماء الجمعية ضد التطرف والغلو

سبق وأن تكلمنا عن تقرير علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لمبدأ الوسطية، من خلال ما نقلنا عن أصولهم العشرين، التي ذكرناها آنفاً، وفي هذا المبحث سنتكلم عن مواقف عملية لعلماء الجمعية في تقرير هذا المبدأ من جهة وقوفها ضد التطرف والغلو؛ وسنقتصر في هذا على موقفين بارزين هما: مرونة التعامل مع كل أطياف المجتمع نصرة للدين ووالوطن، والموقف الثاني موقفها من الثورة.

المطلب الأول: مرونة التعامل مع كل أطياف المجتمع نصرة للدين والوطن

بالرغم من فكر علماء الجمعية المعارض للطرق الصوفية – كما ذكرنا سابقاً في

أصولهم- إلا أن علماء الجمعية لم يكن لهم فكر إقصائي، ومما يدل على ذلك أنها ضمت رؤساء زوايا لستة طرق صوفية كأعضاء مساعدين في المجلس الإداري للجمعية[7] عند تأسيسها.

المطلب الثاني: موقف علماء الجمعية من الثورة

ذكرت هنا أهم المواقف؛ كموقفها من الثورة الذي انتقده الكثير، في حين أن علماء الجمعية أرادوا التثبت من الجهة التي تدير الثورة، فلما تثبتت باركت الثورة، وهذا الموقف كما سنبينه يحسب لها، ويدل على حكمة علمائها.

لقد بارك العديد من قادة جمعية العلماء المسلمين الثورة الجزائرية منهم: الشيخ الورتلاني الذي نشر بياناً يؤيد فيه الثورة بعد يومين من اندلاعها أي يوم 03 نوفمبر 1954م، ثم أعلن رئيس الجمعية: محمد البشير الإبراهيمي تأييده للثورة بعد خمسة عشر يوماً من بيان الثورة[8]، كما أفتى الشيخ العربي التبسي بوجوب الجهاد قبيل الثورة[9].

كما كانت كل افتتاحيات جريدة البصائر –ما عدا واحدة فقط- ترسل إلى المسؤولين عن الثورة في العاصمة، للنظر في محتواها، ثم بعد ذلك تعاد إلى البصائر[10].

وقال أحمد توفيق المدني أحد رموز الجمعية متحدثاً عن موقف الجمعية من الثورة: (.. وبعد مذكرات طويلة ... رأينا أننا من الثورة ومع الثورة ولا يمكن إطلاقاً أن لا نكون إلا مع الثورة)[11]

وقد نقل أبو القاسم سعد الله عن مشاركة جمعية العلماء في الثورة قوله: (وإنصافاً للتاريخ أيضاً نقول إنه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم ووطنهم، وكوّنوا أنفسهم في الخفاء، واجتمعوا وتجاوبوا وقرروا الثورة لكانت الجزائر، بدون جمعية العلماء، كريشة في مهب الريح سنة 1954)[12]

قال المؤرخ الأوربي: روني دو ليل، في مجلة لانيف "LANEF" في مقال بعنوان: "أصول جبهة التحرير الوطني":(إن الكفاح الحقيقي من أجل الاستقلال واستعادة المقومات التقليدية للإسلام قد بدأ منذ 1930، عندما أسس ابن باديس وصحبه حركة جمعية العلماء...)[13]

لكن الموقف الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان يوم: 07 جانفي 1956م[14]، وكان هذا التأخر لأسباب مهمة منها:

- الجماعة التي أعلنت الثورة ليس لها قيادة تتكلم باسمها، وهم ليسوا من الشخصيات المعروفة وطنياً وتاريخياً، بل إن زعيم حزب الشعب الذي ينتمون إليه سابقاًلم يعترف بهم. فكان الوضع يلزم الجمعية أن تتثبت حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود[15].
- التخوف من تكرار سيناريو شباب حزب الشعب الذين أسسوا المنظمة السرية المسلحة عام 1947 فاكتشفتها سلطات الاحتلال وقضت عليها عام 1951[16].
- أراد قادة الجمعية أن يكونوا أكثر حيطة حتى لا يوقعوا الأمة فيما لا تحمد عقباه، كما وقع في مجازر 08 ماي 1945[17].
- تخوف علماء الجمعية من خسارة مكتسبات عشرين سنة كالمدارس والنوادي والصحافة والمساجد...فاقتضى الأمر التعقل والتريث[18].
- غياب أهم قادة الجمعية عند اندلاع الثورة؛ فالشيخان: الإبراهيمي والورتلاني كانا في في بعثة الجمعية للمشرق، والشيخان: التبسي وبوشمال كانا في الحج لأداء المناسك، ولا يمكن أن يتحمل الباقي وحدهم مثل هذا القرار الصعب[19].
- الثورة لا تعني فقط حمل السلاح فقد ساهمت الجمعية في الثورة بإصدار

النداءات لالتفاف حولها، بل أصدر الشيخ التبسي فتوى بوجوب الجهاد فشاركت الجمعية الثورة: بالقلم وتأمين الغذاء، وتحريك الدبلوماسية السياسية وتأمين السلاح وتدويل القضية...[20]

- مشاركة الجمعية في الثورة عن طريق: تثبيت الثوار وتحريضهم على الجهاد، وتنظير الثورة وتصحيح الفكرة، والتعبئة الجماهيرية، وجمع التبرعات لفائدة الثورة[21].

المطلب الثالث: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من الطرق الصوفية والثورة التحريرية

أولاً: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من الطرق الصوفية

لقد سبق وأن عرفنا موقف الجمعية من الطرق الصوفية التي استعملها المحتل خدمة لأغراضه، بالرغم من هذا، إلا أن الجمعية فتحت أبوابها لهم، من أجل مصلحة أعلى، فحاولت التقرب منهم، وإعطائهم فرصة للتراجع عما يخالف الدين، ويخالف مصلحة الجزائر، والأمة الإسلامية.

إن هذه المرونة التي نجدها في هذا الجانب لتدل على تجرد علماء الجمعية للحق، وبعدهم عن نزوات النفس، والانتصار لها، كما يدل على الخلق الرفيع لعلماء الجمعية الذي لايتأتى في مثل هذه الظروف إلا عن علم كبير بمبادئ الإسلام، ومقاصده؛ فمن المبادئ الراسخة: مبدأ السماحة الذي هو العروة الوثقى لمبدأ الوسطية، ومن مقاصد الإسلام وكلياته: حفظ الدين هذا المقصد الخطير الذي يتداخل مع باقي المقاصد (حفظ النفس، والعقل، والعرض، والمال) فحفظ الدين مثلاً يكون بإتلاف النفس، والمال؛ ولكن فلسفة المقاصد تستدعي تقديم إتلاف المال على إتلاف النفس، وهكذا هذه المعاني الدقيقة المتبلورة في عقول علماء الجمعية جعلتهم يستقطبون كل أطياف المجتمع، ويعطون لمخالفيهم في

الداخل والخارج فلسفة إسلامية للتعايش مع الآخر، ومشاركته من جهة، والرد عليه ونقده في خطئه من جهة أخرى.

ثانياً: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من الثورة التحريرية الكبرى

لقد سبق أيضاً وأن عرفنا أن جمعية العلماء بينت بياناً واضحاً موقفها من المحتل، وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُقبل، وأن جهاده واجب عند توفر شروطه، بل نادى علماء الجمعية بما يسمى بالجيل المنشود، فأخذوا على عاتقهم تكوين جيل واعٍ يقوم بتحرير البلد، وقادرٍ على قيادته بعد الاستقلال، لذلك لم يتردد الكثير من قادة الجمعية من مساندة الثورة للوهلة الأولى، وتأخر موقفها الرسمي إلى غاية 07 جانفي 1956، وذلك أن العلماء يفرقون بين الحكم وتعيينه، بمعنى أنهم دعوا إلى الثورة بل كانوا يرونها واجبة كما سبق وأن ذكرنا، لكن تأييد من يقوم بالثورة يحتاج إلى تثبت حتى لا يندفع أبناء الوطن الغالي وراء المجهول فيقع ما لا يحمد عقباه؛ ومما يدل على هذا تباين المواقف بين مؤيد ومتوقف، وما لبثوا أن التفوا حولها وشاركوها في أعمالها.

إن هذا الموقف من الجمعية ليدل على حنكة علمائها، وتحليهم بمبدأ الوسطية في أحلك الظروف، وأن مواقفهم ليست ردود أفعال سرعان ما تتلاشى بل هي مواقف ثابتة في كل الظروف والأحوال.

المبحث الثالث

مواقف علماء الجمعية ضد التغريب

المطلب الأول: موقف جمعية العلماء المسلمين من التجنس

تطرقت في هذا إلى أكبر موقف وقفته الجمعية من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية العربية الجزائرية، ألا وهو وقوفها ضد قانون التجنس بالجنسية الفرنسية، وإصدارها فتوى تقضي بكفر من تجنس بالجنسية الفرنسية؛ وذلك لأن التجنس "يقتضي رفض أحكام الشريعة. ومن رفض حكماً واحداً من أحكام

الإسلام عدَّ مرتداً عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع"[22]. ومن أسباب رفض الجمعية للتجنس والاندماج ما يلي[23]:

- المحافظة على الشخصية الإسلامية؛ حيث أن الجزائر لم تعرف منذ أن دخل الإسلام إليها إلا المسلمين، فلا يوجد فيها نصارى، ولا يهود، ولا غيرهما.
- الشعب الجزائري لا يقبل الاندماج بطبعه؛ حيث اعتبر الشيخ التبسي أن التجنس لو كان مباحاً لتنزه عنه أولوا المروءات.
- الأمة الجزائرية متكونة قبل مجيء فرنسا؛ حيث أكد الشيخ الورتلاني من:(أن الجزائر قائمة بذاتها، مستكملة الشروط والخصائص، وأنها كانت قائمة موجودة قبل وجود فرنسا، ولا تزال وستظل موجودة إلى ما شاء الله).
- اختلاف الدين واللغة والتاريخ بين فرنسا والجزائر.
- الاندماج احتقار للأمة الجزائرية.
- الاندماج مكيدة استعمارية لترسيخه.

المطلب الثاني: موقف جمعية العلماء المسلمين من المتجنسين

اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهجين مختلفين في التعامل مع المتجنسين هما[24]:

المنهج الأول: إظهار فتوى التجنس بلا مواربة ولا خفاء، وهو منهج يمليه الواجب الشرعي لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾** ﴾ آل عمران: ١٨٧، وقوله ﷺ:« من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».[25]

المنهج الثاني: يتعلق بجانب المواطنة، والعمل السياسي، والاجتماعي، والإعلامي، فإن الجمعية تعاملت مع المتجنسين من منطلق أنهم جزائريون لحماً

ودماً، وإن كانوا قد تركوا الإسلام بتجنسهم.

المطلب الثالث: معالم الوسطية من خلال موقف الجمعية من التجنس

لقد رأينا في المبحث السابق مرونة علماء الجمعية مع أطياف المجتمع، وركزنا على الطرق الصوفية، التي حاربتها الجمعية في أفكارها، وعقائدها، ولم يمنعها هذا من التعامل معهم؛ وسنرى هنا موقفاً من الجمعية يراه الكثيرون موقفاً متشدداً بعيداً عن مبدأ الوسطية الذي يقره الإسلام.

إن الناظر لموقف الجمعية من التجنس يدرك مدى تشبث علماء الجمعية بتعاليم الإسلام، وغَيْرَتهم عنه، كما يدرك أيضاً مدى وعي علماء الجمعية بمآلات الأمور، فبالإضافة إلى الفتوى التي أصدرتها الجمعية والتدليل لها من الكتاب والسنة، نلمس أيضاً روح قوة الانتماء للأمة الإسلامية، ويعلم علماء الجمعية أن التساهل في قانون التجنس معناه: ذوبان الهوية الإسلامية العربية الجزائرية التي قامت الجمعية من أجلها، ففرنسا لم تصدر قانون التجنس لسواد عيون الجزائريين، وإنما محاولة لاحتواء الحركة الإصلاحية، وما يدل على خبث المحتل في إصدار هذا القانون، أن المتجنسين لم يعط لهم ما كانوا ينتظرونه من مساواة بينهم وبين الفرنسيين.

وبالرغم من الحكمة التي تحلى بها علماء الجمعية في التصدي لقانون التجنس بقوة، إلا أنهم تعاونوا معهم من أجل القضية الجزائرية، فلو قطعت الجمعية علاقتها بهؤلاء لكان الخاسر في النهاية هو الجزائر؛ لذلك قدم علماء الجمعية المصالح الكبرى، والعامة، على المصالح الفردية، فكان من المصلحة الاستفادة من المتجنسين نصرة للدين والوطن. ولولا فلسفة الوسطية التي كان يتحلى بها علماء الجمعية، وإدراكهم للواقع، وفهمهم الثاقب للدين، لما فرق علماء الجمعية بين التجنس والمتجنسين.

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلت للنتائج التالية:

- ✓ فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكر وسطي معتدل.
- ✓ علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يفرقون بين المسائل النظرية وبين إسقاطها على الواقع.
- ✓ تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً عالمياً في تربية الشباب على الدين الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال والسماحة...
- ✓ تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثالاً رائعاً في التضحية خدمة للإسلام والمسلمين.
- ✓ للعلماء دور كبير في توجيه الرأي العام.

الحواشي والإحالات:

[1] – انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 433/2 ، تفسير ابن كثير: 287/1

[2] – انظر: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية لبوالصفصاف عبد الكريم ص45

[3] – انظر: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية لبوالصفصاف عبد الكريم ص 35، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية لمازن مطبقاني ص27

[4] – نفس المرجعين السابقين ص36، ص30 على الترتيب

[5] – جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية لمازن مطبقاني ص35

[6] – انظر البصائر: السنة الثانية العدد 71 ربيع الثاني 1356 الموافق لـ 1937/06/18

[7] – انظر: المبين في خبر جمعية العلماء المسلمين لأبي المعتصم بالله علي البوبكري ص 10، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية لبوالصفصاف عبد الكريم ص 197

[8] – انظر: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة ص 316

[9] – انظر: أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر للدكتور أحمد عيساوي ص337/1

[10] – وهذا ما ذكره الدكتور تركي عامرة في كتابه: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931–1956) ورؤساؤها الثلاثة ص 53

[11] – موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال للدكتور صالح

فركوس ص413

[12] – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر لأبي القاسم سعد الله 147/4

[13] – انظر: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة ص 330

[14] – عقدت الجمعية اجتماعاً عاماً في هذا التاريخ أعلنت فيه دعمها ومساندتها للثورة بكل صراحة. انظر: البصائر السلسلة الثانية، السنة الثامنة العدد 349

[15] – انظر: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة ص 324

[16] – المرجع السابق

[17] – المرجع السابق

[18] – المرجع السابق

[19] – المرجع السابق

[20] – المرجع السابق، جهود الشيخ العربي التبسي وآثاره الإصلاحية للدكتور أحمد العيساوي 95/1

[21] – انظر تفصيل ذلك في: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة من ص 332 إلى ص 339

[22] – مقال لعبد الحميد بن باديس بعنوان "التجنس والتوبة منه"، البصائر السلسلة الأولى سنة 1938، وانظر: الحركة الوطنية الجزائرية (1930– 1945) لأبي القاسم سعد الله ص 297

[23] – انظر تفصيل ذلك في: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة ص 264

[24] – انظر: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين ليوسف بوغابة ص 266

[25] – رواه الإمام أحمد في مسنده برقم 7561، ص 332/7، وأبو داود في سننه في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم 3658 ص658، وقال الألباني: حسن صحيح.

فهرس المصادر والمراجع

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت
- أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، أحمد عيساوي، مؤسسة البلاغ، ط 2013، الجزائر
- البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين
- تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، عبد الكريم بوصفصاف، دار الهدى، ط 2013، الجزائر
- تفسير ابن كثير (ت774)، دار نور الكتاب، الجزائر
- التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والاختلاف، رابح لونيسي، كوكب العلوم، ط 2009، الجزائر
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت671)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427
- جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، بوالصفصاف عبد الكريم، دار البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر

- جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، مازن صلاح حامد مطبقاني، جامعة طيبة، المدينة المنورة
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956) ورؤساؤها الثلاثة، الدكتور تركي عمامرة
- جهود الشيخ العربي التبسي وآثاره الإصلاحية، الدكتور أحمد العيساوي، مؤسسة البلاغ، ط 2013، الجزائر
- الحركة الوطنية الجزائرية (1930، 1945)، أبو القاسم سعد الله، معهد البحوث والدراسات العربية
- سنن أبي داود، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض
- معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين، يوسف بوغابة،دار زمورة، ط 2013، الجزائر
- موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال، الدكتور صالح فركوس، القافلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر
- المسند، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط1، القاهرة
- المبين في خبر جمعية العلماء المسلمين، أبو المعتصم بالله علي البوبكري، دار الغرب الإسلامي، ط 1976، بيروت.

The role of the Association of Algerian Muslim Scholars in the upbringing of young people on moderation

By:Lazhar Boughtit
Eloued University

Abstract:

The wisdom that characterized its scientists in the dissemination of correct Islamic faith has made it a global model

However, it did not relinquish the principles of Islam, its truth, its essence،

We will demonstrate some of the Association 's positions in consolidating moderation . Based on its stance against extremism and against Westernization.

Keywords:
Algerian- Scholars- Association(moderation-